الاحساس[1]

أو

« في المطعم »

اخذت قهوة « باجود » تغلق ابوابها وتطفئ انوارها والبنات تنصرف طالبات منازلهن سوى واحدة طويلة القامة جميلة الطلعة كانت تسير الهوينا بجوار البناء والناظر اليها يعلم للحال انها في انتظار شخص واذا طوح ببصره قليلاً يرى ان ذلك المنتظر يقترب منها حاملا قبعته بيده معتذراً لها بقوله

— حبيبتي . آسف لأني جئت متأخراً . والسبب هو بقائي بالمحكمة لوجود قضية متعبة للغاية وعسى ان لا يكون طال بك الانتظار .

فأجابته قائلة :

— كلا يا حبيبي . فان القهوة لم تغلق ابوابها الا من وقت قريب . . ولكن الى اين تقودنا ارجلنا ؟

— لتناول الطعام . وبعدها نذهب الى دار التمثيل (التياترو) فعندي تذاكر للدخول .

— ما أطيب قلبك . أنك دائماً تغمرني بلطفك ايها الحبيب . قالت ذلك وهما سائران الى الجهة الغربية « ولكني لا احب ان تتكلف بمثل هذه المصاريف » فاجابها ضاحكاً :

— دعينا من ذلك فقد ربحت اليوم ربحاً وافراً لم انتظره واذا دام بنا

(١) معربة عن الانكليزية

الحال على ذلك فاني اصبح في مقدمة الأغنياء لا محالة . . . ولكن هل تعلمين في أى يوم نحن ؟

— تكاد ذاكرتي تنسى هذا اليوم المحبوب . انك في مثل هذا اليوم من العام الماضي جئت الى القهوة (الحانة) و . . . . . .

— وقابلت اجمل وأرق فتاة في هذا الوجود . انظرى ياحبيبتي ان الوقت يسرع بنا كالبرق فكلما اذكر اول يوم وقع نظرى فيه على هذا الملك الطاهر يخال لي انه كان بالأمس . اليس من الفخار ان فتاة مثلك آية في الخلق والخُلُق تقبل ان تكون زوجة لي ؟

— اسمع يا عزيزى چيفرى . انني قد افتكرت كثيراً في امر زواجنا . ولكن لااعلم ما تقوله امك عند ما تعرف انك سوف تتزوج بفتاة من خادمات القهوة

— لاتجهدى فكرك في ذلك فاني سأذهب غداً الى « برنموث » وابلغها تاريخ هذا الحب . وانا متأكد بانها عند ماتعلم اني مدنف بملك كريم توافقني على الزواج واذا لم تقبل ذلك ذ . . . .

نعم انا احبها ولكني مغرم بكِ ايضاً

وفي اليوم الثاني صار في طريقه الى « برنموث » حيث وجد اللادى هنوريا — أمه — جالسة في مخدعها تقرأ خطاباً فقالت له عند ما تقدم ليقبلها « ان قدومك الآن حسن ياچيفرى فهذا مكتوب من ابنة خالتك تقول فيه انها حاضرة لتقضي معنا بضعة ايام فيجب عليك الآن ان تبقى هنا وتنتهز هذه الفرصة لمحادثة ابنة خالتك . . . . . اتعلم عن اى شيء ؟ » فأجابها

— يا أماه . أني قطعت هذه المسافة من لوندره الى هنا لأعرفك بأنه لايمكن اتمام قصدك . واحمد الله لاني لم اقيد بقول لحد الآن . وكانك تظنين أنه من الضروري زواجي بابنة خالتي كما تزوجت انت بابن خالتك

فأجابته بكل هدوء

— اذاً اختر لنفسك ما تحب من الفتيات فانك لا تعدم لقاء من تصادف منك محبة وانعطافا . وتأكد باني لا احتم عليك الزواج بكلارا .. على أني ارى من عينيك انك تفكر بفتاة مخصوصة

— هي الحقيقة بعينها .

— هل لي معرفة بها ؟

— يسوءني ان اجيبك بالسلب . فانك لا تذهبين الى قهوة «باجود» بشارع فليت . . . اذاً فاعلمي اني وعدت بالزواج بفتاة تشتغل هناك .

فلم تحن اللادي هنوريا قواها ولم تبدي أى حركة أو اشارة بل جلست ولا حراك بها . وعلى فمها ابتسامة حزن . وقالت له :

— لا يمكن أن ترضى بذلك يا چيفرى .

— ولِمَ لا . انها فتاة رغماً عن مركزها في الهيئة الاجتماعية فهي آية في الآداب وجميل المعاشرة .

— واذا سلمنا بأنها جميلة وكما تصفها فهل تعرف شيئاً عن والديها .

— انهما قد توفيا . ولكني اعرف ان اباها كان كاتباً باحدى دوائر الحكومة . . . انظري هاهي صورتها اليست جميلة ؟ فأخذت اللادى الرسم (الفوتوغرافيه) واجالت نظرها في رسم الفتاة فلم تتمالك ان قالت « نعم

انك مصيب. فهي جميلة » وكأنّ الأم سحرت بهاتين العينين السودوين وما يتلألأ فيهما من نور الذكاء وطهارة النفس وذلك الوجه الذى يحاكى بابتسامته ملائكة السماء . وقوام كالعود في اعتداله والظبي في رشاقته . وبالاجمال فان صورة الفتاة حوت كل معنى الجمال بحيث لا يمكن للمصور الماهر أن يأتي بأبدع منها ولا الشاعر وهو في خلوته أن يتخيل وصفاً اجمل منهُ ثم اجابها چيفرى بصوت يتبين منهُ العزم الثابت « وآدابها تفوق جمالها يا أماه » فتذكرت الام التي كلل رأسها الشيب عند ما طرق أذنها صوت هذا المحب ايام صباها . وزمن غرامها فانحدرت دمعتين على خدها لم يرهما الابن لشدة انفعاله . غير أن الام عرفت حرج موقفها وانها تحتاج الى الشجاعة التامة واستعمال نفوذها لترجعه عن قصده والا فهو متزوّج بتلك الخادمة ومن يدرى فقد تكون اندفعت في حبه طمعاً بماله اذ ان اللادى هنوريا تعتقد ان كل فتاة حقيرة المنشأ وضيعة المنبت تطلب الزواج برجل غني يبعد عن مركزها بمراحل فهي لا مشاحة طامعة في ماله ومركزه فلذلك صممت على ايقاف تيار هذا الزواج مهما كلفها وبعد ان صمتت برهة قالت :

— يا ولدي انك لهذه اللحظة لم تخيب لي رجاء ولم تجعلني طول حياتي اشعر بأي حزن او كدر . فهل لك الآن — وقد حان الوقت الذى تبرهن فيه على محبتك الصادقة لي — ان تجيبني الى سؤلي . وتقدم هذا الحب قرباناً على مذبح الطاعة لأماك التي اصبحت قدماها على باب القبر؟ هل لك ان تترك هذه الفتاة وتنساها ؟

فاجابها عبثاً تحاولين ذلك يا اماه . اطلبي ماشئت فاني مستعد ان اقدمه لك ولكن يستحيل عليّ ان أسلو مالكة مهجتي وفؤادي. وهكذا دام الجدال بين الاثنين مدة تنوف عن ساعة وكان هذا اول حديث ظهر فيه چيفرى امام امه بهذه الصلابة ثم قام من مكانه ونظر الى الساعة قائلاً — القطار العائد الى لوندرة سيقوم من هنا بعد نصف ساعة واظن — اظن انه يمكنني ان ادركه فلا فائدة من اطالة الحديث اذ لا توجد قوة على الارض يمكنها ان ترجعني عن ميلي الى ميز والتزوج بها

فامسكت الام رأسها بين يديها وقالت :

ما كنت اعتقد ابداً انك صلب الرأى لهذا الحد يا چيفرى . قالت ذلك بصوت منكسر ـ خلافاً لما تعوده صوتها ـ حتى تحركت عوامل الشفقة في قلب الابن . فتقدم اليها وقبلها قائلاً : ارجو ان لا يكدرك هذا الامر. فلم تجبه . وخرج مسرعاً من الغرفة . وفي الساعة الثالثة ونصف كان القطار ينهب به الارض عائداً الى لوندرة مقر مهجة فؤاده . ومركز لبّه وحياته

* * *

وفي اليوم الثامن وصل الأم خطابٌ من ابنها يقول فيه انه مسافر الى أدنبورغ لتمضية اسبوع حيث توجد اشغال قضائية تدعوه الى ذلك . ولم يأتِ في كتابه على ذكر محادثة الامس فأوجست شراً من سكوته . فصارت الأم تناجي نفسها قائلة : « انه لا يترك هذه الفتاة ابداً واخشى اني لا اقدر على التأثير على الفتاة ايضاً » . وما زالت غارقة في بحار الافكار

تتلاطمها امواج اليأس والرجاء الى ان لاحت عليهـا علامات الارتياح فقرعت الجرس وطلبت جدول مواعيد القطارات وعند تصفحه رأت ان قطاراً سيقوم الى لوندره في الساعة الحادية عشرة ونصف صباحاً . فعندئذٍ امرت باعداد عربتها وبعد نصف ساعة كان القطار يسرع بها الى لوندرة

ولما وصلت الى وترلو (بلوندرة) ركبت عربت وامرت السائق بالذهاب الى شارع بوند حيث اعتادت النزول باحدى فنادقه . وبعـد تناول الطعام توجهت توًّا الى شارع فليت . ودخلت القهوة .

ومع جهلها اسم الفتاة التي عزمت على مواجهتها فانها اعتمدت على الصورة (الفوتغرافية)التي رأتها مع چيفرى . وعند دخولها كانت القهوة خاليةً من الزائرين فجلست على طاولة بالقرب من الباب وطلبت قليلاً من الشاى . وصارت تراقب فتيات المحل واحدة بعد اخرى الى ان وقع نظرها على فتاة طويلة القامة هيفاء القد تصعد السلم المؤدى الى قاعة « التدخين » فعرفت للحال انها ضالتها المنشودة

وبما انه ليس من المعتاد رؤية مثل اللادى هنوريا في هذه القهوة فقد كان ذلك سبباً في استلفات نظر ميز اليهـا . فنادتها اللادى للحال واجابتها الفتاة قائلة

— ماذا تطلبين ياسيدتي فاني رهينة اشارتك ؟

— فبادرتها قائلة : ارجو ان لا يقلقك سؤالي . هل انت خطيبة ولدي جيفري ؟

(ستأتي البقية)